إسهامات فقهاء المغرب الأوسط في علم أصول الفقه مابين القرنين 4هـ-10م/09هـ-15م

أ بوبكر زاوي[1]

مقدمة :

شهدت بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط نهضة علمية راقية ارتكزت بالأساس على عاملين أساسيين هما قيام مراكز اشعاع علمي وبروز نخب فكرية عالمة ، استفادت من دعم ورعاية السلاطين من أجل تعزيز تلك النهضة ، ما جعل المغرب الأوسط خلالها أحد أهم مراكز الفكر والحضارة في العالم الإسلامي عامة و بلاد المغارب على وجه الخصوص ، ولعّل من أبرز مميزات هذا العهد على الصعيد العلمي هو الزخم الكبير الذي حظي به الفقه المالكي في مسار حركة العلوم ، خاصة بعد جولات الصراع الذي قادها وخرج منتصرا ضد الشيعة الإسماعيلية وكذا المحنة التي مرّ بها على العهد الموحدي ، والتي تكللت بالحسم المذهبي لصالحه حيث انكب فقهاء المغرب الأوسط على مدارسة المصنفات الفقهية و التأليف فيها،ومن بين أهم المجالات التي نالت إهتمام علماء المغرب الأوسط علم أصول الفقه، بإعتباره أحد المباحث الأساسية التي لابد لطالب العلم من الإحاطة بها ضمن تكوينه الفقهي ، وقد تجلى هذا الإهتمام بشكل أساسي في مدارسة المصنفات الأساسية التي أسست لهذا العلم من جهة، ومن جهة أخرى نشاط حركة التأليف والتصنيف في مباحثه، وقد تنوعت تلك التآليف مابين شروح ومختصرات، وهي بذلك تدل على الحاجة لتبسيط تلك المباحث لعموم الطلبة في حلق العلم .

تأسيسا على ذلك تحاول هذه المساهمة تسليط الضوء على مكانة علم أصول الفقه بالمغرب الأوسط بين القرنين الرابع والتاسع هجريين من خلال المحاور التالية :

*دخول مصنفات أصول الفقه إلى المغرب الأوسط ، ومكانتها في حلق العلم .

* إسهامات علماء المغرب الأوسط في علم أصول الفقه .

كتب علم أصول الفقه المتداولة في حلق العلم بالمغرب الأوسط :

تقدم لنا كتب البرامج والفهارس وكتب الرحلات معلومات جد هامة حول البيئة الثقافية ومستوى حركة التعليم وبرامج التدريس في المغرب الأوسط ، و إن لم يشهد هذا النوع من التأليف إهتماما واضحا من طرف علماء المغرب الأوسط بإستثناء البرنامج الذي ختم به الغبريني(ت 714هـ) كتابه عنوان الدراية[2] ، وكتاب " عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة

[1] طالب دكتوراه قسم التاريخ – جامعة تلمسان –

[2]-أبي العباس أحمد بن أحمد عبد الله الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق ، محمد بن أبي شنب ، الطبعة الأولى ،دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2007

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المغرب والشام والحجاز "[1] لإبن مرزوق الخطيب ،و كتاب " غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد "[2] للشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/)، وهو ما صعّب عملية التأريخ للمشهد الثقافي والعلمي بالمغرب الأوسط ، فإن كتب الرحلات والفهارس الأندلسية أو المنسوبة لعلماء من المغرب الأقصى وغيرها ، تقدم معلومات وإن كانت متناثرة إلا أنها وافية حول حركة العلوم وأهم برامج التدريس ومواده المقررة ويأتي على رأسها برنامج التجيبي (ت 730هـ)[3] و برنامج المجاري (ت 862هـ)[4] " رحلة القلصادي " (ت891هـ)[5] ، وفهرس إبن غازي (ت 919هـ) المسماة ب "التعلل برسوم الإسناد بعد إنتقال أهل المنزل والناد "[6] ،، التي تحفل بذكر كتب درس أصول الفقه المتداولة آنذاك في حلق العلم و المروية بأسانيدها عن مؤلفيها ، وهي بذلك تسد الخلل وتعطي للباحث سندا تاريخيا وتوثيقيا ، يقيه الوقوع في التخمينات والإسقاطات .

– المستصفى من علم الأصول [7] للشيخ أبي حامد محمد الغزّالي (ت 505هـ)

يعد هذا الكتب من أهم المصنفات التي كتبت في علم أصول الفقه،حتى و إن كان مؤلفه شافعي المذهب إلا أن كتابه تموقع وتم تداوله بين مالكية المغرب الأوسط في حلق الدرس عندهم ، وقد بين المؤلف سبب تأليفه ومنهجه قائلا :" فأقترح علي طائفة من محصلي علم الفقه تصنيفا في أصول الفقه أصرف العناية فيه إلى التلفيق بين الترتيب والتحقيق ، وإلى التوسط بين الإخلال والإملال على وجه يقع في الفهم دون كتاب تهذيب الأصول لميله إلى الإستقصاء والإستذكار ، وفوق كتاب المنخول لميله إلى الإيجاز والإختصار ، فأجبتهم إلى ذلك مستعينا بالله ، وجمعت فيه بين الترتيب والتحقيق ، الترتيب للحفظ و التحقيق لفهم المعاني فصنفته و أتيت فيه بترتيب لطيف عجيب ، يطلع الناظر في أول وهلة على جميع مقاصد هذا العلم ، ويفيده الإحتواء على جميع مسارح النظر فيه "[8] ، ويبدو أن هذا الكتاب

---

[1]– مخطوط ضمن مجموع يحمل الرقم 7579 بالخزانة الحسنية بالرباط ، نقلا عن بن داود نصر الدين ، الحياة الفكرية والتعليمية بتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من ق 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م ، الطبعة الاولى ، كنوز للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011 ، وقد أخبرني الدكتور بن داود أن المخطوط في وضعية مهترئة يصعب معها الإستفادة منه .

[2] –عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد ،ويليه رحلة عبد الرحمان الثعالبي ، تحقيق ، محمد شايب الشريف ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ،بيروت ، لبنان ، 2005

[3]–القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ، برنامج التجيبي ، تحقيق وإعداد ، عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ن 1981

[4]–أبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي ، برنامج المجاري ، تحقيق ، محمد أبو الأجفان ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982

[5]– أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي ، رحلة القلصادي ، دراسة وتحقيق ، محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس 1978

[6]– إبن غازي ، فهرسة إبن غازي ، تحقيق ، محمد الزاهي ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ، د ت

[7]– أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، قدم له وحقق نصه وضبطه وترجمه إلى الإنجليزية ، أحمد زكي حماد ، دار الميمان للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، د ت

[8]– الغزالي ، المصدر السابق ، ص 05

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان متداولا بالمغرب الأوسط في فترة مبكرة ففي القرن السادس إختصره بتلمسان الفقيه علي بن عبد الرحمان ابن قنون (ت 577.هـ) وسمى مختصره ب " المقتضب الأشفى في إختصار المستصفى " ، بعد ذلك يظهر هذا الكتاب ضمن برنامج مشيخة الغبريني كأحد الكتب التي كان يحدثّه بها " الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد الصدفي عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن قاسم بن أبي بكر بن خير عن أبي بكر ابن العربي القاضي عنه(أي عن الغزالي)"[1] ، وقد قرأه القلصادي كذلك على الشيخ محمد بن النجار (ت 846هـ)، وتظهر حركة الشروح والمختصرات على هذا المصنف حجم التأثير الذي خلفه بحلق العلم خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، ويبدو أن هذا الإهتمام الكبير بهذا المصنف راجع بالدرجة الأولى إلى مكانة مؤلفه الذي عدّ من أهم العقول في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى،وأحدث ب

– كتاب " المعالم في علم أصول الفقه "[2] للإمام الفقيه المفسر الأصولي فخر الدين الرازي (ت 606هـ)

يعدّ هذا الكتاب من بين أهم المصنفات الأصولية التي تموقعت في درس أصول الفقه بالمغرب الأوسط ، وقد تميز أسلوب الرازي فيه بالدقة والإختصار ومحاولة اداء المطلوب في عبارة مفضية"[3] وقد قسم الرازي كتابه إلى عشرة أبواب تحت كل باب مجموعة من المسائل فتحدث عن أحكام اللغات ، و عن الأوامر والنواهي ، وعن العام والخاص ، والمجمل والمبين ، وعن الأفعال ، وعن النسخ، و الإجماع ،والأخبار ، وعن القياس ، وختم كتابه بباب عاشر خصصه لمسائل متفرقة في علم الأصول.

وإن كان هذا الكتاب مشرقي الأصول فإن دخوله إلى بلاد المغرب راجع إلى جهود الفقيه المالكي إبن زيتون (ت691هـ)[4]، الذي كان أول من أدخله إلى تونس ومنها إلى باقي أقطار المغرب ، وقد أحدث هذا الكتاب ومنهج الرازي فيه نقاشا علميا أفرز وجود تيارين متباينين في المنهج المتبع في أصول الفقه [5] ، أو مايعرف ب " طريقة المتقدمين " وهم أتباع المنهج القرويين (نسبة للقيروان) وبين " طريقة المتأخرين " المتأثرين بالفخر الرازي والذي أدمج المنطق في أصول الفقه والتي نعتها الغبريني ب' الطرق المقفلة والقوانين المغلقة في أصول الفقه "[6] ، يقدم لنا كتاب عنوان الدراية جزءا من ذلك النقاش المحتدم بين مالكية بجاية حول المنهج المتبع ، فأبو زيد عبد الرحيم بن عمر اليزناتني " كان

---

[1] – الغبريني ، المصدر السابق ، ص 187

[2] –فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، المعالم في علم أصول الفقه ، تحقيق وتعليق ، عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار المعرفة ، مؤسسة المختار للنشر وتوزيع الكتاب ، مصر ، 1994.

[3] – مقدمة المحقق ، ص 23

[4] – راجع ترجمته عند الغبريني ، المصدر السابق ، ص 47، ونيل الإبتهاج ، المصدر السابق ، ص 362

[5] – برنشفيك ، ج02 ص 303

[6] – الغبريني ، المصدر السابق ، ص 53

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محصلا لمذهب مالك ولأصول الفقه على طريقة الأقدمين " [1] ، وإن كان هذا المنهج قد تعرض للإنكار والصد من طرف إبن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي بتونس [2]،الذي قال عنه الغبريني :" وكان في الفقه على طريقة القرويين ولا يرى بالطريقة المتأخرة طريقة فخر الدين ومن تبعه ، وكان ينكر علم المنطق "[3] فإن الفقيه البجائي الذائع الصيت ناصر الدين المشدالي (ت731هـ)[4] ، سيقف موقفا وسطا بين هذين التيارين والذي كان " تحصيله لأصول الفقه و أصول الدين على طريقة الأقدمين وعلى طريقة المتأخرين ، وهو مما ينفع بالأخذ عنه والسماع منه"[5] ، ويدل هذا النقاش العلمي بين أقطاب المدرسة المالكية البجائية والتونسية حول هذا الكتاب ، فضلا عن حركة الشروح (كما سيأتي لاحقا) ،إلى تدوال كتاب المعالم في حلق الدرس ، فقد ورد في معرض ترجمة إبن عميرة المخزومي الأندلسي المقيم ببجاية مايدل على ذلك ، قال الغبريني "وقد رأيت له تعليقا على كتاب المعالم في أصول الفقه لا بأس به ، وهو **جواب لسؤال سائل** وهو مكمل لعشرة أبواب حسبما سأل السائل ..."[6] .

– كتاب " منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل"[7] المعروف " مختصر إبن الحاجب الأصلي لأبي عمرو إبن الحاجب (ت 646هـ) .

يعد مختصر إبن الحاجب الأصولي من أبرز وأهم الكتب المتداولة في حلق العلم بالمغرب الأوسط ، وقد بين ابن الحاجب الحاجة لتأليفه قائلا :" فإني لما رأيت قصور الهمم عن الإكثار وميلها إلى الإيجاز والإختصار ، صنفت مختصرا في أصول الفقه ، ثم إختصرته على وجه بديع ، وسبيل منيع ، لا يصد اللبيب عن تعلمه صاد ، ولا يرد الأريب عن تعلمه راد "[8] ، وقد إحتل هذا الكتاب مكانة رفيعة بين كتب الأصول " وماذلك إلا لأنه جمع المسائل الأصولية في أسلوب موجز ، وحوى كثيرا مما إشتملت عليه الكتب الطويلة في عبارات دقيقة مختصرة "[9] ، وقد وجد هذا الكتاب طريقه إلى بلاد المغرب بفضل جهود الفقيه البجائي ناصر الدين المشدالي ، الذي جلبه إلى بجاية ،ومن خلالها إلى سائر أقطار المغرب [10]، صحيح أن مانقله إبن خلدون في مقدمته كان في سياق الحديث عن كتب الفقه وهو بذلك يقصد

---

[1]–الغبريني ، المصدر نفسه ، ص 120

[2]– برنشفيك ، المرجع السابق ، ج 02 ، ص 303

[3]– الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 53

[4]– ترجمته في الغبريني ، المصدر نفسه ، ص 105، 106،التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص 609،610

[5]– الغبريني ، المصدر السابق ، ص 106

[6]– الغبريني ، المصدر السابق ، ص 142

[7]– إبن الحاجب ، مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل ، دراسة وتحقيق وتعليق ، نذير حمادو ،الطبعة الأولى الشركة الجزائرية اللبنانية ،الجزائر ، دار ابن حزم ، لبنان ، 2006

[8]– إبن الحاجب ، المصدر السابق ، ص ص 199 ، 200

[9]– ابن الحاجب ، المصدر نفسه ، ج 01 ، مقدمة المحقق ، ص 79

[10]– إبن خلدون ، المقدمة ، دار إبن الجوزي للطبع والنشروالتوزيع ،مصر ، 2010 ، ص 382

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المختصر الفرعي ، ولكن ماتقدمه كتب البرامج من أسانيد للمختصر الأصلي والتي تنتهي عند الناصر المشدالي تقف دليلا على أنه جلبهما معا وبثهما وحرص على تدريسهما ، قال التجيبي :" مختصر أبي عمرو إبن الحاجب رحمه الله تعالى في أصول الفقه ، سمعت كثيرا منه تفقها على الفاضل ناصر الدين أبي علي المشدالي .."[1] ، وكان للتواصل العلمي الكبير بين حاضرتي بجاية وتلمسان أثره الواضح في إتصال السند الفقهي بين الحاضرتين [2] ، ففي فهرسة ابن غازي وفي معرض ذكر مروياته التي يرويها عن إبن مرزوق الكفيف يقدم معلومات عن ذلك فيقول " أخبرنا (إبن مرزوق الكفيف)[3] به عن أبيه قراءة عليه في ستة وثلاثين يوما ، عن جده الخطيب (إبن مرزوق الخطيب)[4] ، إجازة عن ناصر الدين المشدالي عن زين الدين الزواوي عن مؤلفه .."[5] ، وهذا نفس السند الذي قرأ به المجاري المختصر الأصلي على يد إبن مرزوق الحفيد (ت 842هـ)[6] ، وكان قد قرأه كذلك عن سعيد العقباني(ت 711هـ) [7] ، ويبدو أن هذا الكتاب قد إستحوذ على برنامج الدرس في حلق العلم بالمغرب الأوسط ، فقد" وفد الفقيه البجائي أبو العباس أحمد بن عمران البجائي على تلمسان تاجرا ، دخل المدرسة القديمة فحضر مجلس أبي زيد بن الإمام(ت743هـ) ، فألفاهم يتكلمون في قول إبن الحاجب في الأصول في حد العلم أنه صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض فنادى فنادى " ياسيدي هذا الحد غير مانع إذ ينقص بالفصل والخاصة ، فقال له الشيخ أبوزيد " من هذا الذي أنبأنا مقاله عن مقامه ؟" فقال " محبكم أحمد بن عمران " ....وجاء به أبوزيد إلى أخيه أبي موسى مسلما عليه فقال له " سمعنا أنك أوردت على أخينا سؤالا فأورده علينا " فلما قرره بين يديه قال له " يافقيه إنما قال ابن الحاجب : صفة توجب تمييزا والخاصة إنما توجب تميزا لا تمييزا "[8] وقد درس هذا الكتاب الشيخ الآبلي أثناء مكوثه بتونس وممن أخذه عنه ابن عرفة الذي

---

[1]– التجيبي ، المصدر السابق ، ص 274

[2]– حول التواصل بين حاضرتي بجاية وتلمسان ينظر ، عبد الجليل قريان ، التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان في العصر الوسيط –قراءة تاريخية – مجلة عصور الجديدة ، العدد10، مخبر البحث التاريخي ، تاريخ الجزائر ، جامعة وهران ، الجزائر ،2014، ص 148ومابعدها ، مريم بلهاشمي ، العلاقات الثقافية بين مدينتي بجاية وتلمسان خلال القرن 07–09هـ/13–15م، ماجيستر في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف لخضر عبدلي ، جامعة تلمسان ، 2011.

[3]– ترجمته في التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 136 ، 137

[4]–ترجمته في ، محمد إبن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،منشورات السهل ، الجزائر ، 2009 ، ص 276،277 التنبكتي ، المصدر نفسه ، ص 450، إبن خلدون ، رحلة إبن خلدون ، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها ، محمد بن تاويت الطنجي ، الطبعة الأولى ، منشورات علي بيضون دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2004،ص 60ومابعدها

[5]– ابن غازي الفهرسة ، المصدر السابق ، ص 185

[6]– المجاري ، البرنامج ، المصدر السابق ، ص 135

[7]–المجاري ، المصدر نفسه ، ص 129

[8]–الشاطبي ، الإفادات والإنشادات ، الطبعة الأولى ، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983 ، ص ص 103 ، 104

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرأه عليه " قراءة بحث وتحقيق "[1] وقرأه كذلك القلصادي على عدد من الشيوخ أثناه مروره بتلمسان [2]وهذا دليل واضح على تبوء هذا الكتاب لمكانة مرموقة في درس أصول الفقه بالمغرب الأوسط وحاضرتيه بجاية وتلمسان .

كتاب تنقيح الفصول في الأصول[3] للقرافي (ت 684هـ) :

وهو كتاب في مقدمات وقواعد علم الأصول [4] ، ويعتبر هذا الكتاب من بين الكتب الأصولية التي كانت معتمدة في درس أصول الفقه بالمغرب الأوسط فبالإضافة إلى الشروح عليه كان يدرس كذلك في حلق العلم فقد كان يرويه إبن غازي عن إبن مرزوق الكفيف" عن أبيه عن الخطيب جده عن المسند أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عدلان ..."[5]، وقد قرأه القلصادي[6]، أثناء مكوثه بتلمسان على الشيخ محمد الشريف (ت 847هـ) [7]

– كتاب الورقات في أصول الفقه[8] لعبد الملك الجويني (ت 478هـ) :

لم يظهر هذا الكتاب في كتب البرامج والفهارس ولا كتب الرحلات التي أرخت للحياة الثقافية للمغرب الأوسط ككتاب للدرس ، إلا في القرن التاسع هجري، مع ترجيحنا أنه كان متداولا قبل ذلك حتى وإن لم تسعفنا النصوص في إثبات ذلك ، وقد شرحه الشيخ إبن زكري (ت899هـ) ، وسمى شرحه ب " غاية المرام في شرح مقدمة الإمام " ، ويبدو أن هذا الشرح قد كان بهدف تسهيل فهمه وإستيعابه من طرف الطلبة ،وقد حققه الدكتور محند إيدير مشنان وهو أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر.[9]

---

[1]– المجاري ، البرنامج ، ص 145

[2]– القلصادي ، الرحلة ، ص 104

[3]–القرافي ، التنقيح ، مخطوط على موقع المصطفى الإلكترونية www.al– mostafa .com

[4]– عبد الرحمان بالأعرج ، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنيين السابع والتاسع هجريين ،7–9هـ/13–15م ، دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف مبخوت بودواية ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ن جامعة أبوبكر بلقايد ، تلمسان ، ص 279

[5]– إبن غازي ، الفهرسة ، ص 185

[6]– القلصادي ، الرحلة ، ص 100

[7] محمد الشريف : إمام مسجد الخراطين ، شرح التسهيل لإبن حيان ، وتصدر للتدريس بتلمسان ويبدو من جملة الكتب التي كان يدرسها غلبة اللغة والأدب على تحصيله دفن بخارج باب الجياد ، ينظر : القلصادي ، المصدر نفسه ص ص 99،100 ، ونيل الإبتهاج ، المصدر السابق ، ص 526

[8]– عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي ، الورقات في أصول الفقه ، الطبعة الرابعة ، مركز توعية الفقه الإسلامي ، حيدر آباد ، الهند ، 1998

[9]– إبن زكري ، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام ، دراسة وتحقيق ، محند إيدير مشنان ، الطبعة الأولى ، دار التراث ناشرون ، الجزائر ،دار إبن حزم ، لبنان ، 2005

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- منهاج الوصول إلى علم الأصول[1] لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت 685هـ):

هذا الكتاب هو كذلك تأخر ذكره ضمن كتب الفهارس والرحلات التي إهتمت برصد الحراك الثقافي بالمغرب الأوسط إلى غاية القرن التاسع والوحيد الذي تكفل بذلك هو القلصادي الذي ذكره ضمن الكتب التي قرأها على الشيخ محمد بن النجار [2].

يمكن القول بعد هذه العجالة أنها هذه أبرز الكتب المقررة في درس أصول الفقه والتي أثبتناها إعتمادا على ماحفلت به كتب الفهارس والبرامج والرحلات ، ولكن هذا لا يعني انها كانت هي الوحيدة المتداولة في الدرس الأصولي بالمغرب الأوسط فقد كانت هناك كتب أخرى متداولة ولكن على نطاق ضيق ككتاب **جامع الجوامع في أصول الفقه للسبكي** [3]، وكتاب **الأحكام لسيف الدين الآمدي** [4]، وكتاب **المحصول في علم أصول الفقه** [5]، وكتاب **التحصيل** لسراج الدين الآموري [6].

*** الملامح العام لحركة التأليف في علم أصول الفقه بالمغرب الأوسط :**

إن المتتبع لحركة التآليف في علم أصول الفقه بالمغرب الأوسط ، يلاحظ سيطرة الإختصار والشروح على مصنفات أصولية مشرقية بالأساس ، ويبدو أن هذه الظاهرة لم تكن مقتصرة على هذا العلم أو على بلاد المغرب الأوسط فقد سجل لنا إبن خلدون سيطرة هذا المنهج على المتأخرين فقال :" ذهب كثير من المتأخرين إلى إختصار الطرق والأنحاء في العلوم ، يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم في كل علم يشتمل على حصر مسائله و أدلتها و أدلتها بإختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ...وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل "[7] ، وقد شهد هذا النوع من التآليف إنتقادا من طرف جملة من علماء العصر آنذاك فقد إنتقد

---

[1]- عبد الله بن عمر البيضاوي ، مناج الوصول إلى علم الأصول ، ومعه تخريج أحاديث المنهاج لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، إعتنى به وعلق عليه ، مصطفى شيخ مصطفى ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، لبنان ، د ت

[2]- القلصادي ، المصدر السابق ، ص 102

[3]- السبكي ، جامع الجوامع في أصول الفقه ، علق عليه ووضع حواشيه ، عبد المنعم خليل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003.، مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، الجزء الثاني ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2009 ، ص ،214

[4]- علي بن محمد الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ، علق عليه ، عبد الرزاق عفيفي ، الطبعة الأولى ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية ،2003، إبن خلدون ، المقدمة ، ص 386، عبد الجليل قريان ، التعليم بتلمسان في العهد الزياني ، الطبعة الأولى ،جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011 ،ص 252.خطيف صابرة ، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية ن جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011، ص 321

[5]- فخر الدين الرازي ، المحصول في علم أصول الفقه ، دراسة وتحقيق ، طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ،د ت ، عبد الجليل قريان ، المرجع السابق ، ص 252

[6]- عبد الجليل قريان ، المرجع السابق ، ص 252

[7]-إبن خلدون ، المقدمة ، ص 486

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقري(759هـ) كثرة النقل من المختصرات [1]، وقد عزز المقري موقفه قائلا :" ثم كلّ أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار ، فأقتصروا على حفظ ماقل لفظه ونزر حظه ، و أفنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه ، ولم يصلوا إلى رد مافيه إلى أصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح ، لا هو حل مقفل ، وفهم امر مجمل "[2]،والظاهر أن سيطرة هذا النوع من التآليف كان الهدف منه هو جعلها كمقررات وبرامج للدرس ، بما يقرب الأصول إلى الطلبة المبتدئين ويسهل عليهم الفهم والحفظ ، بالرغم من إنتقاد ثلة من العلماء لذلك وعلى رأسهم إبن خلدون الذي عقد فصلا كاملا حولها معتبرها مخلة بالتعليم [3]،

ففي المغرب الأوسط من جملة 24 تأليف تيسر لنا إحصائها ،شكلت التآليف المستقلة حوالي 05 مؤلفات ،فيما حوالي 19 مؤلف هي عبارة عن مختصرات وشروح وحواشي وتعليقات على مؤلفات أخرى .

-حركة التأليف في علم أصول الفقه بالمغرب الأوسط من القرن4هـ حتى 09هـ /10م-15م:

يعد الشيخ أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ)[4]، واضع الأسس الأولى للكتابة الفقهية بالمغرب الأوسط فقد صنف في العديد من الميادين، وكان علم أصول الفقه من بين المجالات التي أسهم فيها فقد صنف كتاب " الأصول " [5]، وإن لم يشهد القرن الخامس هجري أي نشاط تأليفي في علم أصول الفقه حسب علمنا ،فإن القرن السادس هجري عرف نشاطا ملحوظا في هذا المجال ، حيث ألف إبن الرمامة محمد بن علي (ت 567هـ)[6] "**مختصرا نبيل في أصول الفقه** "[1]، وقد كان حافظا للفقه

---

[1]- الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ، الجزء 2 ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ، 1981،ص 479، ابو سليمان عبد الكريم قبول ، الإختصار والمختصرات في المذهب المالكي ، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،2006، ص 68

[2]- الونشريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 480 وحول جملة الآراء والمواقف من هذا النهج في الكتابة الفقهية ينظر ، إبو سليمان عبد الكريم قبول ، المرجع السابق ، ص ص 65،83 ، عمر الجيدي ، مباحث في المذهب المالكي في المغرب ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف الجديدة ، الهلال العربية للطباعة والنشر ، المغرب ، 1993، ص ص 87 ومابعدها .

[3]- إبن خلدون المقدمة ، ص 486

[4]- ترجمته في ،القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق سيد أحمد أعراب ، الجزء السابع ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1982ص ص 102،104 ،:إبن خير ، فهرسة إبن خير الأموي الإشبيلي ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، الجزء الأول ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1989، ص 107، إبن فرحون ، المصدر السابق ، ص ص 165،166،

[5]- القاضي عياض ، المصدر السابق ،ص 103

[6]- ترجمته في عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، حققه وعلق عليه ، إحسان عباس ، محمد بن شريفة ، بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى ، المجلد الخامس ، السفر الثامن ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2012، ص 219،220، عادل نويهض ،معجم أعلام الجزائر ، ص ص 238،239.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظارا فيه بارعا في معرفة أصوله ماهرا في إستنباط معانيه [2]، و ألف أبو علي حسن بن علي حسن المسيلي (ت حوالي 580هـ)[3]، "النبراس في الرد على منكر القياس " [4]، أما بتلمسان فألف علي بن عبد الرحمن ابن قنون كتاب " المقتضب الأشفى في إختصار المستصفى "[5].

في القرن السابع تواصلت حركة الشروح على أمهات الكتب في علم أصول الفقه ،ببجاية ألف العالم محمد بن إبراهيم الفهري[6] " تقييد على المستصفى "[7]، وألف محمد بن سحنون الكومي الندرومي (ت624هـ)كتاب " إختصار كتاب المستصفى "[8] وألف شرف الدين محمد عبد الله بن محمد الفهري التلمساني (ت 644هـ) ، " شرح المعالم في أصول الفقه "[9]،وهو من القلة من المصنفات التي وصلتنا ، وقد جاء الشرح في عشرة أبواب محافظا بذلك الشارح على نفس التقسيم الذي وضعه الرازي لمعالمه .

شهدت حركة التأليف في علم أصول الفقه في القرن الثامن نهضة كبيرة بالمقارنة مع القرون السابقة ، حيث أحصينا حوالي تسع مؤلفات في أصول الفقه ، ويبدو أن ذلك كان مدفوعا بالنهضة العلمية الكبيرة التي شهد تها أقطار المغرب الإسلامي عامة ، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص[10] ، بالموازاة مع الحسم المذهبي لصالح المذهب المالكي ،فقد ألف إبن أبي العيش الخزرجي (ت 911هـ)"[11] كتاب في أصول الفقه "[12] ونلاحظ في هذا المجال إستمرار حركة الشروح على أمهات كتب أصول الفقه ، وإن سجلنا إستمرار تأثير كتاب المعالم للفخر الرازي، حيث ألف جمال الدين أبو محمد عبد الله محمد بن يحي الباهلي (ت744هـ)[13]، كتاب " **غاية المحصول في أصول الفقه** "[1]، وألف الحسن بن حسن أبو

---

[1]– عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، 220

[2]– عبد الملك المراكشي ، المصدر نفسه ، ص 219

[3]– ترجمته في : الغبريني ، عنوان الدراية ص ص 13،18، نويهض ، ص ص 467،468

[4]– الغبريني ، المصدر نفسه ، ص 13

[5]_

[6]– ترجمته في توشيح الديباج ، ص 224،226، عنوان الدراية ، المصدر السابق ، ص 95،97

[7]– عنوان الدراية ، المصدر نفسه ، ص 96

[8]–عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 512

[9]–(ابن التلمساني)عبد الله بن محمد بن علي شرف الدين أبو محمد الفهري المصري ، شرح المعالم في أصول الفقه ،تحقيق ،الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوّض ، الطبعة الأولى ،عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1999

[10]–ينظر في هذا : قويدر بلعباس ، الحياة الثقافية في بلد المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ، ماجيستر في التاريخ الوسيط ، إشراف خالد بلعربي ، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس 2010

[11]–ترجمته في التنبكتي ، المصدر السابق ، 579،580،، مخلوف ، المرجع السابق ، ج1،361

[12]–عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 383، مختار حساني ، الحواضر والأمصار الإسلامية ، ج4 ، ص ص 100، 101

[13]–ترجمته عند إبن فرحون المالكي ، الديباج ، ص ؟، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق ، محمد أبوالفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى، الجزء الأول ، 1967، ص 460

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علي البجائي (ت754هـ)[2]، " **شرح المعالم للرازي** " [3]، إلا أننا بالمقابل سجلنا أربع شروح **على مختصر إبن الحاجب** الأصلي ، الأول لإبن أبي حجلة التلمساني (ت 776هـ)، والثاني لإبن قنفذ القسنطيني (ت810هـ)[4]، و الثالث لسعيد العقباني (ت811هـ) [5] والرابع وصلنا ليحي بن موسى الرهوني (ت 773هـ)[6] الذي سماه "تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل "[7]، وإن لم تحدد المصادر مكان ولادته بالتحديد إلا أنه يبدو لنا و من خلال المشيخة العلمية التي أخذ عنها في المراحل الباكرة من حياته أنه من مواليد المغرب الأوسط ، فقد أخذ عن الآبلي و أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي ، أما أهم مؤلفين في هذا القرن فهو " مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول ، وكتاب "مثارات الغلط في الأدلة "[8] ، ويعد كتاب مفتاح الأصول أيقونة الكتابات الأصولية بالمغرب الأوسط ، هذا الكتاب على صغر حجمه يتميز بمنهج وأسلوب فريد ، وقد نهج الشريف التلمساني فيه " منهج الفقهاء في الغالب،و إلا فهو جمع بين الطريقتين : طريقة الفقهاء والمتكلمين ، مع دمج لطريقة تخريج الفروع على الأصول"[9]، وقد إجتهد المحقق في حصر مصادر الشريف في كتابه والتي أوصلها لسبع وأربعين مصدرا مابين كتب التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها ،ومن بينها تسع مصادر أساسية في علم أصول

---

[1]–عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 469

[2]–ترجمته في ، التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 158

[3]– محمد بن مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، إعتنى به وخرّج آياته ، عبد الغني ميتو ن جمال أحمد حسن ، الطبعة الأولى ،الجزء الأول ،المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ص 307،2014،عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 54

[4]–ترجمته في مخلوف ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 330، 331

[5]– ترجمته في ، ابن فرحون ، المصدر السابق ، ص 204 ، مخلوف ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 331

[6]–ترجمته في ، لإبن العماد الحنبلي الدمشقي ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه ، عبد القادر الآرناؤوط ، حققه وعلق عليه ،محمود الآرناؤوط ، الطبعة الأولى ،المجلد الثامن ، دار إبن كثير ، دمشق ، بيروت ، 1996،ص ص 394،395 ، إبن فرحون ، المصدر السابق ، ج2،ص 362

[7]– أبي زكرياء يحي بن موسى الرهوني ، تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل،دراسة وتحقيق الهادي بن الحسين شبيلي ، الطبعة الأولى ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، 2002

[8]–الإمام الشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني التلمساني ، مفتاح الأصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه مثارات الغلط في الأدلة ، دراسة وتحقيق ، الشيخ محمد علي فركوس ، الطبعة الأولى ،المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998، وقد نشر كتاب مثارات الغلط في الأدلة منفصلا بعناية جلال علي عامر الجهاني دون أن تحمل النشرية بيانات النشر

[9]– ضيف الله بن هادي بن علي الزيداني الشهري، أصول الفقه في القرن الثامن الهجري دراسة تاريخية تحليلية ، دكتوراه في أصول الفقه ، إشراف عبد الكريم بن علي النملة ، كلية الشريعة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،الرياض ،1426هـ ، ص 848و حول طريقة تخريج الفروع على الأصول ينظر نفسه ، ص 919

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفقه[1].وقد أصبح هذا الكتاب من بين أهم كتب الدرس الأصولي ببلاد المغرب الإسلامي ، وإستمر تأثيره حتى عصور متأخرة .

خلال القرن التاسع إستمرت حركة الشروح على أمهات مصادر أصول الفقه ، فقد سجلنا خمس مؤلفات في أصول الفقه ، ثلاث مصنفات منها هي شروح على المختصر الأصلي لإبن الحاجب،وهو مايعني تبوأ هذا الكتاب لمكانة هامة في الدرس الأصولي بحلق العلم بالمغرب الأوسط ،فقد شرح اجزاء منه إبن زاغو (849هـ)[2]، وألف الشيخ علي بن ثابت (ت 830هـ)[3]، شرحا على التنقيح للقرافي [4]، أما أهم المصنفات التي ألفت في هذا القرن فهي ما كتبه العالم أحمد بن زكري (ت 899هـ)[5]، حيث ألف شرحا على الورقات في أصول الفقه [6]، سماه " غاية المرام في مقدمة الإمام" ، والظاهر أن سبب تأليفه لهذا الشرح كان لتسهيل متن الورقات لطلبة العلم في الحلقات التي كان يعقدها [7]، وقد لاحظ المحقق إعتماد الشيخ إبن زكري على كتاب البرهان للجويني وكتاب الإحكام للآمدي ، ومختصر إبن الحاجب وشرح تنقيح الفصول للقرافي،ملاحظا في الوقت نفسه ترجيحه لإختيارات إبن الحاجب [8].

خلاصة :

وعلى عكس ما ذهبت إليه بعض الدراسات من دعوى قصور فقهاء المغرب الأوسط في علم أصول الفقه[9] ، يجد الباحث في موضوع مكانة علم أصول الفقه بالمغرب الأوسط ، نفسه أمام زخم كبير من التآليف في أصول الفقه ، صحيح أن أغلب الكتابات كانت عبارة عن شروح ومختصرات –وهي ميزة العصر – على مؤلفات أصولية مشرقية ، إلا أنها تقدم الدليل الواضح على عناية علماء المغرب الأوسط

---

[1]– الشريف التلمساني ، المصدر السابق ، مقدمة المحقق ، ص ص 241 ، 245

[2]– التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 527، مخلوف ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 336، بن داود نصر الدين ، أسر العلماء بتلمسان ومساهمتها في حضارة بني زيان ، النشر الجديد الجامعي ، تلمسان ، 2016، ص 296.

[3]– ترجمته في التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 335، مخلوف ، المرجع السابق ، ج1ص 333،

[4]– مخلوف ، المرجع نفسه ، ج1ص 333

[5]– ترجمته في التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 129، مخلوف ، المرجع السابق ، ج1ص 352

[6]– إبن مريم ، المصدر السابق ، ص 69حساني مختار ، الحواضر والأمصار الإسلامية ، ج 4 ، ص 183

[7]– إبن زكري ، المصدر السابق ، ص 260

[8]–إبن زكري ، المصدر السابق ، ج 1 ، مقدمة المحقق ، ص 245، ويمكن الرجوع إلى محمد صالحي ، المنهج الأصولي عند الشيخ إبن زكري من خلال كتابه "غاية المرام" ، مذكرة ماجيستر في العلوم الإسلامية ومناهج البحث ، إشراف خليفي الشيخ ، قسم العلوم الإسلامية ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ،جامعة أبوبكر بلقايد ، تلمسان ، 2015/2014،ص 34 ومابعدها وحول إختيارات إبن الحاجب الأصولية يمكن الرجوع إلى ، أحمد بوزيان ، إختيارت إبن الحاجب الأصولية التي خالف بها في المنتهى مذهب المالكية –دراسة إستقرائية مقارنة – ، مذكرة ماجيستر في العلوم الإسلامية ، تخصص أصول الفقه ، إشراف محمد علي فركوس ، قسم الشريعة ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2009

[9]– ينظر مثلا صابرة خطيف ، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية ، الطبعة الأولى ،جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014، ص 320، وأنظر رأي عمر الجيدي في هذا الموضوع في كتابه مباحث في المذهب المالكي ، المرجع السابق ، ص 139 ومابعدها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بأصول الفقه تدريسا و تأليفا ، على الرغم من تسجيلنا لإعراض العديد من الفقهاء الذين برعوا في علم أصول الفقه ولم يرى حاجة في الكتابة ، كما هو الحال عند أبو عبد الله محمد بن براهيم الفهري المشتهر بالأصولي الذي " كان له علم بالفقه والأصلين والخلافيات والجدل وله في المعقول الحكمي نظر وسئل في التصنيف فامتنع وقال : قد سبق الناس بذلك وماعساي أن يأتي به ".[1]

[1]– الغبريني ، المصدر السابق ، ص 96

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com